كيلا نحقق للخصوم أهدافهم بأنفسنا

في الثامن والعشرين من شهر مارس عام ١٩٧٣ — قبل قيام حرب اكتوبر بستة شهور تقريبا — استقبلني الرئيس احمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية في بغداد لانقل اليه رسالة من السيد الرئيس انور السادات .

بقلم : الدكتور

محمد حسن الزيات

كان مضمون الرسالة ان مصر .. وقد بلغت هي والدول العربية الاخرى اقصى الجهد لانهاء العدوان الاسرائيلي على ارضها واسترداد حقوق شعوبها.. قد انتهت الان الى طريق مسدود وان اسرائيل مازالت تصرح للعالم انه لابد ان ينتهي العرب الى اليأس المطلق من كل حركة قبل البحث الجاد في اي حل لما يسمى مشكلة الشرق الاوسط وان العالم قد بات ينظر الينا نيرانا — كما كانت ترانا اسرائيل — جثة قد سكنت حركتها تماما بعد فترة تخبطت فيها كالطير الذبيح اثر ضربة عام ١٩٦٧ .

وانهيت للرئيس البكر رأى السيد الرئيس السادات اننا لذلك لم يعد امامنا طريق سوي طريق التحرك العسكري.

ولن انسى وجه الرئيس البكر حين كان يستمع الي وقد زحفت علامات الاهتمام على ملامح وجهه .. ثم وهو يستعيدني فاعيد عليه بعض ما اراد سماعه والتأكد منه من فقرات الحديث.. ولقد سكت الرئيس العراقي بعد انتهاء الحديث مدة قبل ان يقطع الصمت بالسؤال هل قررت مصر الان ان تحارب! فلما اجبت بالايجاب تساءل عن المواقب مقررا ان هذه المواقب تهمه كما تهمنا تماما .. لان مصر ان اصابها شر فليس هناك شك في ان كل بلاد العرب ستتعرض لمثله .. ليس هناك شك في ان العراق ستتعرض لمثله .

واستمر الرئيس البكر في حديثه — بحضور السيد مرتضي سعيد وزير الخارجية العراقية عند ذاك والسيد عبد المنعم النجار سفير مصر في بغداد في ذلك الر . قائلا ان مصر ان حاربت فانها ستحارب وحدها . لن يحارب معها في الغالب الامر الا سوريا ولكن سوريا ستكون مكشوفة الظهر لان الاردن لن يحارب.. ولان العراق لن يحارب..

ولقد اسرع الرئيس البكر يشرح لماذا لن يحارب العراق موضحا ان السبب بسيط وهو ان العراق لا يملك في الحقيقة جيشا يمكن ان يحارب به..

وقال انه عندما تولى رياسة الجمهورية وجد الجيش في حالة يرثى لها وان حكومة العراق ما زالت منذ تولى رياسة الجمهورية تبذل اقصى الجهد لتكوين جيشها ولكنها آنذاك — في مارس ٧٣ — ليس لديها في الواقع الجيش القادر على الاشتراك في مثل هذا التحرك العسكري الذي اشرت إلى اننا سنتحركه .

هذه شهادة لا ادلي بها لتقرير واقعة فقط .. وانما ادلي بها اولا لابرز الفرق بين تفكير العرب عندما يفكرون في صمت ويتكاشفون في جد .. وبين خطبهم عندما يطيعون اغراء الحماسة والبلاغة يكلمون ما لا يطيقون ويتحملون ما يزيدهم ثقلا جديدا ويضيفون الى ما يقيدهم من الاغلال قيودا جديدة .

وانا ادلي بها ثانيا لاتساءل عن الميزان العسكري في المنطقة والوضع العسكري في العراق هل اصبح الميزان العسكري غير ما كان عليه في منتصف عام ١٩٧٣ .. هل اصبحت كفة العراق والدول المجتمعة — في بغداد ارجح وانقل .. ان كان ذلك فما بال الطاعنين على مصر في بغداد لا يتحركون كما تحركت مصر عام ثلاثة وسبعين وان لم يكن الميزان قد تغير فما بال الذين نصحونا في عام ثلاثة وسبعين لا ينصحون اليوم المؤتمرين في بغداد

وانا ادلي بهذه الشهادة ثالثا لابرز قول الرئيس البكر آنذاك وهو صحيح — انه لن يصيب مصر واصاب العرب مثله .

ولا ادري الان كيف يتحدث بعض المؤتمرين في بغداد اليوم عن عزل مصر عن بقية العالم العربي .

بل اني قد افهم ولكني متزعج من بعض الغاضبين في مصر ممن يتصلون ببعض المجتمعين في بغداد.. متزعج من تورطهم في مثل ذلك الحديث

جدير ببعض المؤتمرين في بغداد وبعض الغاضبين في القاهرة ان يراجعوا الوثائق المتصلة بمؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٨ ليروا الدليل الصريح على ان الفصل ما بين مصر وبين المشرق العربي الذي تقوم فيه اسرائيل كان هدفا من اهداف الاستعمار والصهيونية .

جدير باولئك وهؤلاء ان ينظروا في ابحاث اهل الاختصاص والاستراتيجية ليعرفوا ان العالم العربي جدير بان ينطلق الى مراحل التقدم الذي تجمعت فيه كل امكانياته بشرط ولعد هو بان تتكامل اجزاؤه وتتكافل فان لم يفعل فسنبقى اجزاؤه مقيدة بقيود الحاجة والتخلف .. لهذا رايت ان ادلي بهذه الشهادة .

فان من يكتم الشهادة آثم قلبه ..